في المرحلة التي اعقبت مؤتمر اريحا، وانتخابات العام ١٩٥٠ في الضفتين، بادر الاردن، من خلال تعيين سبعة اعضاء من الضفة الفلسطينية في مجلس الاعيان، الى محاولة الاستئثار بتمثيل الفلسطينيين؛ كما تزايد عدد الفلسطينيين في الحكومة، ايضاً، بهدف ارضائهم؛ وكانت قمة اندماجهم، على الارجح، في انتخابات تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦، حيث استطاع كل من سبعة احزاب معارضة ان يوصل، على الاقل، احد اعضائه الى المجلس. وكان الملك حسين رأى نفسه مضطراً الى تعيين ابرز المنتخبين فلسطينياً رئيساً للحكومة، وهو سليمان النابلسي. لكن هذه التجربة انتهت، في السنة التالية، باسترجاع العرش لصلاحياته، وبانهاء التجربة البرلمانية[٣٤].

وليس هناك من شك في ان صعود وانكسار التجربة البرلمانية، في ذلك الحين، كانا عائدين، بالدرجة الاولى، الى التنافس الذي شهده النظام العربي بين مصر والمملكة العربية السعودية، من جهة، والمشروع الهاشمي، من جهة اخرى. فقد استطاع التيار الاول تسجيل عدد من الانتصارات على الثاني، بحيث لم يدع اي شك امام الاردن، والى حد ما العراق، في ان مواقعه مهددة بالتدهور، ان لم يكن بالسقوط، وفي ان ميزان القوى على الساحة العربية، إنْ تطور، فلغير مصلحته[٣٥]. ضمن هذا الاطار، حاولت المملكة الالتفاف حول نظام عربي لم يكن مؤاتياً لها، وسعت، بعد تأكدها من صعوبة الانتصار ضمن هذا النظام، الى اقامة نوع من الكيانية الطبيعية. وبالفعل، فقد قطعت المملكة، منذ اواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات، شوطاً اكبر ممّا كان متوقعاً؛ فشرعية العرش الهاشمي وروابطه التقليدية مع البدو وعائلات الضفة الشرقية خلقا بيئة مستقرة بصورة مرموقة، وعقداً اجتماعياً وسياسياً قابلاً للتطور. ويبدو ان هذا الوضع كان اشد اثارة للاعجاب، في ضوء انّ الاردن شهد تقدماً متواضعاً في مجال الاصلاحات الاقتصادية، واعادة توزيع الثروة، وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية في النظام السياسي، وهي عوامل يسّرت نزع فتيل الاحباط الشعبي، وخلقت ثقة اكبر بين العرش والعامة[٣٦].

على الرغم من ذلك، فان ديمغرافية الاردن، ونوع الولاء الذي يمحضه مواطنوه له، أمور كانت قابلة للنقاش. فقد كان هنالك، على الدوام، «وجع رأس» اردني، مصدره البنية الديمغرافية لشرق الاردن ذاته، الذي اصبح نصف سكانه، منذ العام ١٩٦٧، وحوالى ٦٠ بالمئة من سكان عاصمته على الاقل، من الفلسطينيين. وقد اسهمت هذه البنية في مشكلة صوغ احساس بالهوية: هل كان الفلسطينيون لاجئين مرتبطين بفلسطين ويعيشون في الاردن فحسب؟ ام انهم فلسطينيون، ولاؤهم الاول للعرش الهاشمي؟ انهم يحملون جواز سفر اردنياً، ويستطيعون العيش والعمل حيث يريدون؛ ولكن هل يشعر هؤلاء بانتمائهم لـ «وطنهم» الجديد؟ بل، ما هو دورهم في نظام سياسي لبلد وفد اطرافه الى العاصمة تباعاً: الحكومة من الحجاز، واليد العسكرية من العشائر الشرق اردنية، لا سيما الجنوبية، ومن الشركس؟

لقد كان افضل الظروف، من وجهة نظر العرش، ذلك الذي يتكوّن، في آن، من خلال نمو هوية شرق اردنية متمايزة، ومن استيعاب منظّم للفلسطينيين. وكان لكل من هذين المسلكين اعتبارات خاصة به. فقد اظهر الملك اهتماماً خاصاً بالجالية الشرق اردنية، حيث سعى الى حماية مصالح تلك المجموعة السكانية مقابل الحصول على الولاء والثقة والدعم المضمون. أمّا بالنسبة الى الفلسطينيين، فقد عرضت عليهم الفرصة لكسب الرزق والتمتع بامتيازات الانخراط في العمل الاقتصادي، مقابل الرضوخ لبنية السلطة الداخلية ولصنع القرار السياسي في المملكة[٣٧]. وبالفعل، فقد اتاح